الفصل السادس

دخل المحترم الحديقة فوجد دانيال جالس على إحدى مجالسها وهو آخذ يجول ويُغيِّر نظره من أمامه إلى التجوال به في السماء.. ثم انتبه دانيال على اقتراب أحد منه؛ فتتغير ملامحه من محاولة هروبه واستغرابه لما يجول في صدره إلى رؤيته المحترم إسحاق؛ فيبتسم ويفرح لذلك.. ثم أخذ يقف مستقبلاً المحترم.. وقال ماداً يده مصافحاً وماشياً نحوه:

_ كيف أحوال صديقك الذي ذهبت لتُسلم عليه؟

سأله يحاوره من الود بينهما.. وكأن دانيال مهتم لكل أمرٍ من أمور المحترم. تبسم المحترم وقال:

_ بخيرٍ والحمد لله.. كيف هي أخبار الحديقة وسماءها.. أراك تتفقدهما.

ضحك دانيال وحَكَّ سبابته برأسه.. ثم قال:

_ هل لاحظت ذلك ؟ _وأفسح الطريق ليجلس المحترم_

جلسا.. وفي صمت لم يدم طويلاً؛ فقد أخذ المحترم يضغط بكفه على قلبه ثم اتكأ على جانبه الأيسر وأرجع ظهره إلى المسند.. ثم سعل بعض السعال؛ فقال دانيال:

_ ما الخطب ؟ هل أنت بخير أيها المحترم؟

نظر المحترم أمامه ثم إلى دانيال ويده ما زالت على صدره ثم قال:

_ لا ! ليس هناك شيء.. لكن أحياناً ينتاب قلبى شعور بالتضخم.. وكأني في حاجة لأن أحتويه.. وهناك أيضاً شعور بتنميلة فيه من ناحية ظهري، لكن سرعان ما يعود لحالته.

قال دانيال:

_ أتمنى أن تكون الأمور بخير !

قال المحترم:

_ نعم.. لعله خير إن شاء الله. _أخذ نفسه.. ثم عاد الصمت قليلاً_

قال دانيال :

_ كيف تمَّ وأصبحت حال الرجال اللواطين إلى ما هي عليه الآن؟

أخذ المحترم يحرك لحيته يستوعب سؤال دانيال.. ثم قال:

_ ألم تعلم أنه إذا ما اخترع أحد طريق واتبعه؛ إلا صار فيه وسلكه رغم ما فيه من الظلمات.. كما رأيت من هؤلاء الرجال الذين يأتي بعضهم بعضاً.

قال دانيال متعجباً:

_ وكيف تمَّ التوصل إلى أن يخترع أحدهم مثل هذا الطريق الغريب الذي لا يُستصاغ؟ ولماذا أجبر نفسه على الصبر حتى تتقبل مثل هذا الطريق؟

استمع المحترم بإنصات شديدٍ.. ويا لعلمه! فلا يسمع شيئاً إلا ويظهر عليه من خلال إجابته أنه مرَّ عليه هذا السؤال من قبل.. ثم حدد من أي بدآءة يبدأ.. ثم قال:

_ يوجد أحد المخلوقات تعيش معنا ولا تُرى.. مخلوقات خفية.. لها عالم غير عالمنا.. لا دخل لهم إطلاقاً بالعالم الذي نعيش فيه؛ إلا من خلال إحدى الصِلات.. وتلك هي طبيعتهم التي خلقوا عليها.. وإذا حاول أحد هذه المخلوقات أن يؤثر في الإنسان؛ فليس هناك من طريقة إلا طريقة الإيحاء والوسوسة التي في النفس.. وتلك المخلوقات تُسمى بالجن1.

قال دانيال:

_ هل تقصد أن الجن له علاقة بموضوع اللواط والشذوذ؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ سوف ترى..

ثم أكمل المحترم قائلاً:

_ وقبل أن يخلق الله الإنسان؛ كانت أرجاء الأرض _كما هي الحال الآن_ مسكونة بأنواع الحيوانات والحشرات.. وكانت تلك الحيوانات والحشرات تتقاتل وتتنازع على الطعام وعلى أن تُسيطرعلى المكان.. ونزاعها هذا كان فيما بينها ضمن الزُمرات والقطعان.. وعندما يحدث نزاع فيما بينها؛ فتلك المخلوقات لا تُبالي إن كان التنازع مع الأب أو الأم أو أي أحد آخر..

---

1 _ الجن أو الملائكة لا دخل لهم إطلاقاً بعالمنا؛ فإنه لو وقف بينك وبين من تُحدث من أصحابك ألف ملك أو ألف جن؛ فإنك سترى صاحبك وتسمعه وكأنه ما هناك من شيء بينكم.. وهكذا، وسبحان الله ربِّ العالمين!

فهذا ليس في حسبانها، وكل ما يتحرك ويدُبُّ على الأرض من المخلوقات؛ كان على هذه الشاكلة من التنازع أو قريباً منها.

يُخبر الله الملائكة أنه سيخلق خلقاً جديداً يكون على الأرض.. وهذا المخلوق الجديد سيكون خليفة لله على الأرض.. خليفة لله؛ له أن يفعل مثل أفعال الله.. واسم هذا المخلوق وسمته الغالبة الظاهرة هي لبشرته وآدميته.. والله سبحانه لا يخبر الملائكة عن كل خلق سوف يخلقه.. ولكن الملائكة تمَّ لهم وأن تكلم الله معهم وأخبرهم عن هذا المخلوق الجديد؛ فأجابوا على الله وردوا عليه قائلين:

_ إنه ما من خلق تجعله على الأرض؛ إلا ويكون متقاتلاً متنازعاً.. سافكاً للدماء ومفسداً فيها غير مُصلح! وأنهم _أي الملائكة_ يسبحونه ويحمدونه على أن خلقهم وكيف أنه خلقهم.

قال دانيال:

_ والملائكة قالت ذلك بسبب ما تراه من تصرفات المخلوقات على الأرض.. أليس كذلك؟

قال المحترم:

_ نعم هو كذلك.. وقد ترسخ في أذهان الملائكة؛ أنه ما من خلق يخلقه الله ويجعله على الأرض؛ إلا ويكون مثل بقية المخلوقات التي يعرفونها ويرونها.. والمخلوق الآدمي لن يختلف عن المخلوقات السابقة لمجرد أنه مخلوق جديد!

فأجابهم سبحانه بأنه هو العليم الحكيم.. الذي يستطيع أن يخلق ما لم يكن في الحسبان بأنه سيُخلق.. وشاء الله سبحانه أن يخلق مخلوقاً جديداً، عنده القدرة على أن يستوعب كل ما في

السموات والأرض.. وعنده القابلية في أن يحيط علماً بكل ما في الكون من أشياء.. وأن هذا المخلوق الجديد به من القدرة والعلم والمشاعر؛ المقدر الكبير حتى وإن كان من أهل الأرض وسُكانيها.. وأن هذا المخلوق الجديد ستكون روحه من روح الله.

قال دانيال سائلاً:

_ وهل كل أرواح البشر؛ هي من روح الله نفسه؟

فأجاب المحترم قائلاً:

_ نعم بالطبع! وقد أمر الله الملائكة بأنه إذا ما خلق المخلوق الجديد.. ونفخ في جسده من روحه تعالى.. وهو المخلوق الوحيد الذي روحه هي من روح الله تعالى؛ فإذا ما تم كل ذلك خرَّوا ووقعوا له ساجدين.. فسجد الملائكة كلهم جميعاً لهذا المخلوق الجديد؛ إلا واحداً من هؤلاء الملائكة قد ظهر عليه الإيباء والتكبر في أن يسجد لهذا المخلوق الجديد!

قال دانيال:

_ ومن هذا الذي رفض السجود أيها المحترم؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ إبليس هو الذي رفض السجود لهذا المخلوق الجديد.. وإبليس هذا كان من الجن؛ ولكن الله رفع مرتبته من حُسن عبادته وصلته بالله.. رفع مرتبته وجعله من ضمن الملائكة.

وإبليس قد رفض السجود؛ لأنه قد اجتمعت عنده الأمور كلها بأنه ما من لأحد أفضلية عليه.. وهذا هو اعتقاده وظنه.

قال دانيال:

_ ولماذا اعتقد إبليس بأنه لا توجد لأحد أفضلية عليه؟

قال المحترم:

_هو قد اعتقد ذلك؛ لأنه أحاط علماً بمعظم ما خلقه الله على الأرض.. ومعظم الخلق الذين هم على الأرض؛ ما هم إلا دواب من الحيوانات والحشرات لا تعقل شيئاً.. ثم إن هذه الدواب والحيوانات معروفة طباعها من سفك للدماء وفتك وقتل من أجل الطعام أو المكان أو السيطرة. وأما باقي المخلوقات؛ فما هم إلا الملائكة.. وما هم إلا خلق في الملأ الأعلى.. وحتى أولئك الملائكة؛ فقد قُرب إبليس عليهم وكان له مرتبة فيهم.

أما إبليس! فإنه من بني الجنِّ الذي قُرب وفضل علي جميع الجن بسبب عبادته لله وتقربه إليه سبحانه وذكره له.. وإن كان هناك وصف لإبليس حينها؛ فما هو إلا جنيٌّ من الملائكة المقربين العابدين لله.

جاء إلياس من خلفهم ومبتسماً قال.. فنظرا إليه متفاجئين:

_ وقد رفض إبليس السجود؛ بسبب التكبر والحسد الذي اشتعل في صدره.

ابتسم المحترم فرحاً بقدومه.. ثم قال:

_ بالضبط أيها المرح ! ويبدو أنك قد وعيت ما قلته لك من قبل.

ولذلك قد اجتمعت الأمور لدى إبليس بأنه ما هو إلا هو.. لا لإحدٍ أفضلية عليه ولا مقارنة له بغيره.. وأن الأمر على هذه الحالة سائر.. لا مكانة عنده لتغيير؛ فكل الأمور واضحة.. لا شيء يدعو بأن يكون هناك تغير؛ فهذه هي الحال.. وسُنة الله التي سنَّها هي هي.. مالها أن تتبدل أو أن تتغير.

قال دانيال:

_ وهل كان معلوماً بين الملائكة أن الله سيخلق خلقاً مثل الآدمي فيفضله على كل شيء ويجعلهم يسجدون له؟

أجاب المحترم:

_ لا أحد يعلم ما في نفس الله.. والملائكة علمها محدود لا تستطيع أن تتنبئ بما هو قادم أو ما هو المغزى مما يرونه.. ولكنَّ إبليس؛ فإنه كان واجباً عليه أن يتنبئ بما هو قادم بسبب كل ما يراه أمامه من الخلق وفي كل الكون.. وكان واجباً عليه أيضاً أن لا يأمن مكر الله.. لكنه اغتر بمكانته.. اغتر بمكانته ونسي وقَصُر فهمه أن الاختيار والمشيئة لله وحده.. اغتر بمكانته ولم يُبالي بأن يكون هناك ابتلاء من عند الله له ماذا هو بفاعل فيما يبتليه به.. ولكن يظهر أنه قد انشغل كثيراً جداً بما خرج الإيباء منه.. وهو إعجابه بنفسه، فلم يُبالي بأن الله هو من أمره بالسجود.

يسأله الله:

_ ما لك يا إبليس أن لا تكون مع الملائكة ساجداً؟

فأجابه إجابة من الكذب.. أجابه قائلاً:

_ ما كان لي أن أسجد لمخلوق من طين !

ونحن لا ندري! أو إن كان خُلق آدم من قبس من نور أكان سيسجد؟ أولم يكفي بأن الله هو من أمره بالسجود حتى يسجد من دون اعتراض؟

قال إلياس:

ـ بل كان الأولى على إبليس أن يسجد ثم يولي بعيداً جداً في السموات ومُلك الله الذي لا يُحيط أحداً به علماً إلا الله.. كان الأولى أن سجد؛ لأن الله هو من أمره.

قال المحترم:

ـ ولكن الكِبر والتكبر قد جاء يا إلياس! ولا يهم ماذا يحدث بعد ذلك؛ فالعقل لا يعقل شيئاً إذا ما جاء الكبر.. ولا طاقة ولا تحمل بأن يُمس الكبر عند الكثير وإن كان الحق كل الحق في اتباع الأمر.

قال دانيال:

_ أيها المحترم! هناك سؤال.. _وأخذ يُجمع الكلام ليسأل هذا السؤال_

قال المحترم:

_ تفضل !

فقال دانيال:

_ هل عرّف اللهُ الملائكةَ فضل هذا الآدمي قبل أن يأمرهم بالسجود له؟

فقال المحترم:

_ الملائكة ليسوا في حاجة لأن يتبيَّنوا قبل أن يسجدوا؛ لأنهم يُطيعون ولا يعصون.. فقط هم مُطيعون. ثم إن الله جعل الملائكة ترى سبب تكريم الآدمي قبل أن يسجدوا له. فقد عرض عليهم الأشياء التي علَّمها لآدم.. وسئلهم أن يعرفوا أسماء تلك الأشياء.. فقالوا مُسبحين له؛ بأن علمهم فقط هو ما أحده لهم وعلَّمهم إياه.. فلا علم ولا قابلية للعلم لهم بعد ما أحده الله لهم.

وبالمناسبة! فقد كان إبليس في الملائكة حينها ولم يعرف ماذا يجيب هو الآخر ولا كيف.. ولكن آدم أخبرهم بأسماء الأشياء التي عرضها الله عليهم؛ فتبينوا لشأن هذا الآدمي.

قال دانيال:

_وماذا فعل الله بإبليس عندما تكبر على السجود لآدم؟

قال المحترم:

_ قال الله له غاضباً عليه: اخرج ! ما يكون لك أن تتكبر فيها.. إنك من الصاغرين.

(أي اخرج من ملكوت السماء إلى الأرض؛ لأن الذي يعيش في ملكوت السماء ليس له أن يتكبر)

فقال إبليس لله:

_ كما أغويتني وعلمك بي.. وعلمك كيف هي نفسي وكيف هي حياتي.. ثم تضعني في موقف تنظر ماذا أنا فاعل فيه؛ فبعزتك! _وكم أنت عزيز يا ذا العزة_ مهما كان هذا المخلوق الذي كرمته علي؛ فإنه ليس بكذب ظني فيه.. أوليس هو من أهل الأرض؟ فسأوريك ماذا أنا فاعل فيه وسيفعل.. وسأُغويه وسيغوى.. وسأُضله وسيضل.. وسأُمنيه بأشياء لا تحدث وسيتمناها.. وسوف أعده بأن ما يتمناه سوف يحدث؛ فيصير مغروراً وهو لا يملك لنفسه شيء، ولا يملك نصراً ولا تصريفاً لشيء.. وسوف أحاول أن أُنسيه أنه لا حول ولا قوة إلا بك.. وأجعله يرى ويظن بأن أمر الحياة بلا معنى هكذا.. فالشجر إذا أسقيته أخرج الثمار، والثمار إذا قطفتها فأنت آكلها.. ولا شيء أكثر ولا أقل من ذلك، وما تلبدت السماء بالغيوم وأخذت تُمطر؛ إلا لأن السحاب قد تراكم.

فقط أبقني حي إلى يوم القيامة وسأوريكه حقاً هذا المخلوق الجديد.

فقال الله له:

_ أنت من المنظرين إلى يوم القيامة.. وإن جهنم هي موعدك أنت ومن اتبعك من ذرية آدم!

ولم يَسرِ هذا التخويف على إبليس؛ إلا زيادة له في طغيانه الكبير.

* * *